المحاضرة الخامسة: المتعلم في العملية التعليمية

يتعرَّض المُتعلِّم خلال نموّه النفسيّ، والجسديّ، والعقليّ للعديد من المراحل التي يكتسب من خلالها كمّاً من المعارف التي تُؤثِّر فيها العوامل الثقافيّة، والنفسيّة، والاجتماعيّة، والتربويّة، ممّا يجعل عمليّة التدخُّل؛ لتعديل هذه العوامل، وتعزيزها أمراً ضروريّاً؛ بهدف تشكيلها؛ ولتحقيق هذا، فإنّه لا بُدّ من مراعاة الجوانب المُتعلِّقة بالمُتعلِّم، إذ هو الطرف الثاني بعد المعلم في تشكيل ثلاثي التعليمية، والحديث عن المتعلم يقودنا إلى تحديد وضعه إزاء العملية التعليمية، فهو المستهدف بالدرجة الأولى في هذه العملية المتشابكة، فإعداد المعلم إعدادا جيدا في كفاياته العلمية والتربوية، وبناء المناهج وإعداد المقررات وحسن صياغتها وترتيبها وما إليها من عمليات سابقة ولاحقة كلها من أجل هذا المتعلم الذي نريد بناءه بناء جيدا. يقع هذا المتعلم بين حاضنتين أساسيتين هما: أبواه من ناحية والمعلمون من ناحية أخرى، وبين هذين الحاضنين الأساسيين هناك محيط كبير، يبدأ بالأسرة الكبيرة وما يعج به البيت من مؤثرات وينتهي بالشارع الذي لا يتحكم أحد في تنوعاته التي لا تحصى. في هذا الوسط الكبير يقع الطفل البريء وهو ينمو باطراد عقليا ولغويا وثقافيا وتبنى شخصيته الأولية رويدا رويدا. فمن المسئول عن هذا البناء؟ ومن المسئول عن نتائجه وعن مدى قوامها وصلاحيتها للمستقبل؟ من هذا المنطلق ينبغي أن ننظر إلى تعليم الطفل، وإلى مستقبله الذي سيمارسه في قادم أيامه. إن الجانب اللغوي عند الطفل ليس معزولا عن مختلف مؤثرات المجتمع الكبير، إن التطرق إلى خصائص المتعلم يتشعب بنا إلى جملة من القضايا التي لها علاقة وطيدة بالبشرية عموما وبالذات الشخصية خصوصا، فالناس كيفما كانوا يتفقون على خصائص بشرية معينة، إلا أنهم يختلفون في خصائص أخرى تميز كل ذات عن غيرها من الذوات الأخرى، وإلا كان الناس جميعا كالشخص الواحد.

وعليه لابد من توفر شروط في المتعلم حتى تتم عملية التعلم

أ- **النضج:** والمقصود منه هو ليس اكتمال النمو الجسمي والطبيعي فحسب بل عملية نمو تشمل الكائن في كل جوانبه (الفسيولوجي، النفسي، العقلي، المعرفي، الإنفعالي،) حيث تصبح قابلة وقادرة على العمل بها.

ب- **الدافعية:** هي طاقة كامنة في الفرد توجه السلوك وتعززه وتعمل على زيادة استثارته، هذه الدوافع المحفزة مثلا عن التعلم يمكن تقسيمها كذلك إلى ثلاثة أنواع منها ما هي **لصيقة بموضوع التعلم** كرغبتنا في تعلم لغة أجنبية، منها ما هي **خارجة عن نطاق العمل وموضوع التعلم** كرغبتنا في التعلم من أجل الحصول على جائزة أو إرضاء لوالدينا ومنها ما **يرتبط بظروف التعلم.**

جـ - **الممارسة:** «هي تكرار أسلوب النشاط مع تعزيز موجه.» وهي شرط أساسي في عملية التعلم وتشمل جميع أساليب النشاط سواء تعلق الأمر باكتساب مهارات حركية أو معلومات أو طريقة تفكير، فلا يمكن الحكم على حدوث التعلم إلا بالممارسة، إذ لا يمكن الحكم على الفرد أنه تعلم إلا إذا تكرر الموقف وظهر التحسن في الأداء.

خصائص المتعلم:

قسم الباحثون هذا الموضوع إلى ثلاث قضايا متمايزة هي:

أولا: سمات النفسية:

تمثل الشخصية الجانب الداخلي في الإنسان المعروف بالجوهر، ونسميها عوامل الشخصية، ويقصد بالشخصية مجموعة من الخصائص النفسية والعقلية والاجتماعية والانفعالية الثابتة ثباتا نسبيا، حيث تميز الفرد عن غيره من الناس، وتحدد أساليب تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها. وبهذا نجد الفروق القائمة بين الأفراد في الصفات المختلفة أي الفروق في نوع الصفة وليس في الصفة ذاتها، فاختلاف القدرة اللغوية عن القدرة العددية مثلا هو اختلاف في نوع الصفة وليس في الصفة ذاتها. وتضم جملة من القضايا الأساسية متمثلة في: التقدير الايجابي للذات وبصفة صادقة، المخاطرة، الانبساط، القلق والدافعية. وتعرف هذه القضايا بسمات الشخصية أو المجال الوجداني الذي يحدده بجملة من الصفات متمثلة في تحقيق القدرة على الاستقبال، وتحقيق رغبة كاملة في معرفة المحيط وتقبل الأشياء المحيطة به، وأن تكون لديه القدرة على الاستجابة دون إجبار.

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن عامل التقدير الذاتي الذي أشرنا إليه في مستهل حديثنا عن هذه الصفات، والمتمثل في تقويم الشخص الايجابي لمجموع خصائصه الذهنية وكذا الجسمية لها علاقة وطيدة بالتحصيل المدرسي. وما يمكن استخلاصه هو أن الشخصية المتزنة وما تتسم به من مواصفات ايجابية تلعب دورا هاما وايجابيا في مجال التعلم والإنجاز.

أما المخاطرة فهي أن يغامر المتعلمون في التحدث والممارسة الفعلية للغة والمساهمة في الإجابة بالحدود المعقولة، رغبة في الوصول إلى تحقيق الشجاعة الأدبية، ومن ثم الوصول إلى الحقيقة. أما **الانبساط** الذي يقابله الانطواء، وليس من الصواب الظن بأن المنبسط اجتماعي والمنطوي غير ذلك. لأن المنبسط يكون في حاجة إلى الآخرين كي يشعر بأنه بخير، أما المنطوي فيشعر بالكلية وبالانجاز دون حاجة إلى الآخرين. وعكس هذا التصور يقود المعلمين إلى الخطأ فيتصورون أن المنبسط المشرك في كل نشاط هو الممتاز وغيره خلاف ذلك. وهذا التصور ليس على إطلاقه، فقد يكون المنبسط متفوقا وقد لا يكون كذلك، ومثله المنطوي. أما **القلق** المتمثل في ورود نوع من الارتباك والخوف والاضطراب في النفس، شريطة إلا يكون قلقا موهنا متأصلا في نفس المتعلم. أما نوع من القلق فهو ضروري لتحقيق النجاح، لأنه يدل على الاهتمام الذي يصاحب نفس المتعلم الذي يبتغي الوصول إلى أهدافه المنشودة.

أما صفة **الدافعية** فهي باتفاق الدراسات صفة تعد مفتاحا للتعلم الناجح. فالدافعية التي نعرفها بالقوة الداخلية التي تدفع الإنسان إلى التعلم أو المثير الداخلي الحقيقي الذي يحث المتعلم على إنجاز فعل ما، لاشك تعد المحرك الحقيقي الذي لا يعادله شيء آخر من الصفات المذكورة آنفا. –

الاستعـداد: وهو من أهم العوامل النفسية كذلك التي تجعل عملية التعلم تحقق أهدافها، إذ كيف نتصور أننا أوصلنا بعض المعلومات التي يشتمل عليها الدرس المقدم للمتعلم دون أن يكون هذا الأخير على استعداد تام لتقبل هذه المعلومات. فالاستعداد قد يكون موجودا ولكن صاحبة يجهل كيف ينميه، أو أنه لا يريد أن ينميه أوانه لا يجد الفرصة لتنميته، ولعل الاستعداد يكون محدودا، وربما يكون عند فرد أقل مما هو عليه عند فرد أخر. وهذه كلها عوامل تجعل التفاوت ظاهرا والفروق إذن بين الأفراد واضحة.

ثانيا: الخصائص المعرفية:

–**الذكـاء:** هو القدرة على اكتساب المعرفة أو القدرة على التعلم كما كان يعرف على أنه قدرة الفرد على التوافق مع المواقف الجديدة هذا وقد تم تحديد مفهوم الذكاء على أنه قدرة عامة عند الفرد تساعده على التوافق مع نفسه ومع البيئة التي يعيش فيها. والذكاء كما يستخدمه المتخصصون في علم النفس هو ما يصف الفروق الفردية في السلوك المعرفي عند الأفراد وهو مفهوم فرضي. ويرى بعض العلماء أن الذكاء هو مجموعة من القدرات العقلية المنفصلة في حين يرى البعض الآخر أنه عبارة عن قدرة عقلية عامة واحدة، فقد أكد بعضهم أن الذكاء عبارة عن قدرات منفصلة، وأكد آخرون أن الذكاء، عبارة عن قدرة عقلية عامة واحدة.

–**الأوضاع الاجتماعية** : يسمي كثير من الباحثين هذا العنصر بالمكانة الاجتماعية، ونفضل تسميته مباشرة بالأوضاع الاجتماعية الصعبة التي دلت التجارب على أن المستوى التحصيلي للتلاميذ يتغير وفقا لطبيعة الظروف الاجتماعية التي يحتلونها. والمراد بالبيئة الاجتماعية عدد من المتغيرات لعل من أبرزها الطبقة الاجتماعية والظروف العائلية وذلك قصد إعطاء صورة واضحة عن نوعية الدور الذي تقوم به في هذا المجال. ومن الاعتقادات التي تحظى بالقبول لدى عدد غير قليل من العلماء ذلك الاعتقاد الذي يذهب فيه أصحابه إلى أن إنجاز الأطفال المنحدرين من أسر فقيرة غالبا ما يكون أقل مستوى من إنجاز أقرانهم المنتمين إلى أسر ذات خلفية اجتماعية واقتصادية راقية.

–الخصائص الشخصية:

–**الجـنس:** إن قضية الفروق بين الجنسين بين الذكور والإناث، بين الرجل والمرأة قديمة قدم الفكر الإنساني، وقد كانت هذه الفروق تقوم على ما يمكن تسميته بالحتمية البيولوجية على حد تعبير ستيفين روز، فالفروق بين الذكور والإناث مردها في المقام الأول لفروق بيولوجية بينهما، تلك الفروق التي تتضح بجلاء عند الوصول إلى مرحلة البلوغ وما يصحبها من تغيرات جسمية تعمل على إبراز وتعميق هذه الفروق. إن الذي يدعو إلى الاهتمام بهذه النقطة

بالذات هو البحث في علاقة عامل الجنس بالتحصيل المدرسي، كذلك هو التساؤل عما إذا كانت الأنثى تختلف عن الذكر من حيث القدرة على الاستفادة من المناهج الدراسية المختلفة.

خلاصة القول هو أنه من الضروري مراعاة الخصائص النفسية والقدرات العقلية والمعوقات الطارئة للمتعلم وذلك من خلال مجموعة من الفروق في الإعداد والتكوين ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

إن المعلم هو المكون الرئيس في أية خطة تعالج الفروق الفردية؛ والمشكلة أننا في مؤسساتنا التعليمية لم نتهيأ بعد للتعامل مع الفروق الفردية، فالطلاب نظنهم سواءً في المهارات العقلية من تذكر وحفظ وفهم، ولا نفرق بينهم في النواحي الجسمية والعقلية اعتقادًا منا أن هذا هو العدل بعينه. والصحيح أننا عندما نتعامل بهذه الطريقة ونتبع هذا الأسلوب فإننا نظلمهم، لأنه من الضروري مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب في العملية التعليمية، وذلك باتباع ما يلي:

1- إثارة دافعية الطلاب نحو التعلم من خلال تحميس الطلاب وتذكيرهم بلحظات النجاح، وبأهدافهم التي يسعون لتحقيقها.
2- إعلام الطلاب بالأهداف المراد تحقيقها، كي يسعوا إليها بحماس.
3- استخدام المعلم أساليب التشويق وجذب الانتباه عن طريق توظيف الأسئلة بطريقة مناسبة، وتوظيف الوسائط التعليمية المتنوعة.
4- تنويع أساليب التعزيز وطرائقه.
5- تجنب الألفاظ القبيحة والجارحة للطلاب؛ حتى لا ينخفض إقبالهم على التعلم.
6- غرس روح التنافس الشريف بين الطلاب، فيقول المعلم للطالب الضعيف: "لماذا لا تكون مثل قرينك المتفوق؟ ويشجعه لتحقيق ذلك، كما يشجع التنافس الشريف بين المتفوقين بعضهم بعضا، وبينهم وبين ذواتهم، فيقول للمتفوق: "يمكنك أن تكون أفضل فلماذا لا تحاول؟ مما يحقق النمو الذاتي الصحيح لشخصياتهم على أفضل وجه.
7- متابعة المستوى التحصيلي للطلاب؛ من أجل التعرف على الطلاب المتميزين والمتعثرين؛ وبناء عليه يُعِدُّ اختبارات متوازنة، تتضمن أسئلة تناسب الطلاب المتعثرين و المتفوقين.
8- استغلال نشاط الطلاب وهِمتهم في تعزيز العملية التعليمية، وإتاحة فرصة التدريب لهم على ما تعلموه وتطبيقه في المواقف المختلفة.
9- توفير المناخ العاطفي والاجتماعي للطلاب، فالصف الذي تسوده العلاقات الإنسانية والمناخ النفسي والاجتماعي الذي يتسم بالمودة والتراحم والوئام تسهل إدارته من قبل المعلم.
10- لا بد من بناء المناهج على أساس مراعاة ما بين التلاميذ من فروق فردية، ولن نكون مبالغين إذا نظرنا للطالب من جميع النواحي: كيف يفكر؟ كيف يسلك؟ كيف يتعلم؟ وما يمكن أن يتعلمه؟ وما الاتجاهات

والقيم التي يجب أن تكون لديه؟ وما العادات التي يجب أن يكتسبها؟ كل هذه الجوانب وغيرها يجب أن يعنى بها محتوى المنهج، فليس المحتوى مجرد مجموعة من الحقائق والمعارف وإنما هو مركب يتضمن كافة جوانب المتعلم وإمكاناته ودوافعه، بما يضمن تنفيذ المنهج على أفضل صورة ممكنة.

11- تشجيع العمل في مجموعات ؛ فالمجموعات الصفية توفر آليات التواصل الاجتماعي، وتسمح بتبادل الأفكار وتوجيه الأسئلة توجيهًا أفضل، كما أن شرح الطالب لصديقه في إطار مجموعة ربما يكون أفضل بكثير من شرح المعلم له.

– إعداد خبرات تعليمية متنوعة يستطيع كل متعلم استيعابها حسب السرعة التي تناسبه والذكاء الذي يملكه.

– استخدام عدد من الوسائل التعليمية المختلفة التي تناسب مختلف المتعلمين وما يتميزون به من فروق في أسلوب التعلم.

– التوسط في شرح الأفكار بغية أن يفهمها جميع المتعلمين.

– إعداد مجموعة متفاوتة المستوى من التدريبات اللغوية، بحيث يناسب كل منها فريقا من المتعلمين وتنوع الواجبات المنزلية بحيث يقدم لكل مجموعة من المتعلمين ما يناسبها.

– إعطاء فرصة للمتعلمين للاختيار من بين أسئلة الامتحانات على أن يكتسب كل منهم المهارة نفسها.

– تقدير الحالات الخاصة بالأفراد ومراعاتها دفعا للإحراج ولما من شأنه يثبط عزيمة المتعلم وينفره من التعليم كوجود الحبسة أو السرعة المفرطة في الكلام أو تأتأة معينة أو غير ذلك مما له علاقة بالنطق على وجه الخصوص نظرا لخصوصيات المناطق الجغرافية في المجال الصوتي.